Journal Of the Iraqia University (73-3) January (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

بناء المجتمع الإسلامي وفقاً لرؤية السيد محمد باقر الحكيم.. أطروحة أهل البيت (ع) نموذجاً

علي غركان عامر الدلفي
طالب دكتوراه في كلية العلوم والمعارف جامعة المصطفى العالمية
بأشراف الدكتور حسين البدري
استاذ في جامعة المصطفى كلية العلوم والمعارف , ايران , قم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.يعد السيد محمد باقر الحكيم عالماً بارزاً، حمل لواء المواجهة مع الانظمة الظالمة، وكان أحد أبرز العلماء المجاهدين، إذ واجه أعتى طاغية عرفهُ العصر المعاصر، وخاض السيد الحكيم خلال هذه المسيرة الطويلة المحورين الجهادي والسياسي، كما رسم معالم شاخصة ميّزت شخصيته ومسيرته معتمداً بذلك على إيمانه بقضيته وإخلاصه وعزيمته الراسخة، وامكانياته المتنوعة، ويأتي قدرته الكبيرة على التنظير والربط بين المواقف والأحداث في مقدمة ذلك، ليكون عناصر أُطروحة أو رؤية الموضوعية متوجة بنظرته الفاحصة.ومن أبرز تطبيقات الموهبة النادرة التي يمتلكها السيد الحكيم تعاطيه مع موضوع أهل البيت (عليهم السلام) إذ سجل من سيرتهم وحفظ من أحاديثهم وتوجيهاتهم المتنوعة لاستكشاف طبيعة دورهم واستراتيجيتهم واستثمار الرابط بين عناصر أُطروحتهم الجامعة.كانت رؤية السيد الحكيم لأطروحة بناء المجتمع الإسلامي واضحة من خلال كتابه (دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة)، والذي يعد انجازاً علمياً وبحثياً مهماً ومبتكراً بهذه السعة والشمولية، إذ يبين دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء وإغناء وتوجيه اتباعهم وشيعتهم، إلا أنه من خلال ذلك يوضح أُطروحتهم في بناء المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال محورين: **الأوّل:** مسؤولية المجتمع الإسلامي وفق رؤية أهل البيت (عليه السلام). **الثاني:** معالم أو سمات المجتمع الإسلامي وفق رؤية أهل البيت (عليه السلام).

المحور الأوّل/ مسؤولية المجتمع الإسلامي:

يشير السيد الحكيم إلى تمثل مسؤولية المجتمع الإسلامي بالتالي:**الالتزام الديني والأخلاقي: إن** المجتمع المسلم تحمل مسؤولية رفع شعلة الحق فمن الطبيعي أن تكون في مقدمة مسؤولياته التزامه بتعاليم دينه بأبعاده العقيدية والفقهية، ففي الحديث الشريف: (دخلت على أم حميدة – جارية الإمام الصادق (عليه السلام) – أعزيها بأبي عبد الله (عليه السلام) فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً! فتح عينيه ثم قال: اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة، قالت: فما تركنا أحداً إلا جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة)[1]، كما أكد أهل البيت (عليهم السلام) في وصاياهم واحاديثهم، ففي الحديث عن زيد الشحام قال: (قال لي ابو عبد الله (عليه السلام): اقرأ على من ترى أن يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله (عزّ وجل) والورع في دينكم والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأدّوا الأمانة إلى من أئتمنكم عليها براً أو فاجراً، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط)[2].**الالتزام بمنهج الحق:** إن من أشد آفات المجتمعية والدينية هو عدم الالتزام بمنهج الحق، فلم تلبث أن انحرف المجتمع بمجرد غياب أنبيائها عنها، ويلاحظ أن الانحراف تعدى التعاليم الثانوية حتى شمل أساس هذه الأديان السماوية والتي ضحى من أجله الأنبياء والمرسلون وأتباعهم وهو موضوع التوحيد، حيث شابها عندهم الإبهام، والانحراف والتشويه، وكان لابد لأهل البيت (عليهم السلام) أن يعالجوا هذه الآفة الخطيرة من خلال آليّة فاعلة تصون الأمة من الانحراف، ونظراً إلى (أن منشأ الانحراف في الأمم ينبع عادة من انحراف قياداتهم الروحية فقد عالجوا هذا الموضوع) كما ذكر ذلك السيد الحكيم من خلال تثبيت الضوابط الموضوعية المعتبرة في القيادات والمرجعيات الدينية في حال غياب القيادة المعصومة.وفي مقدمة هذه الضوابط التميّز العلمي والعدالة، باعتبارهما الركيزتين الأساسيتين، لضمان سلامة مسيرة الأمة واستقامتها، فالعمق العلمي وفتح باب الاجتهاد هو الوسيلة المنطقية للتطور والعمق وتلاقح الأفكار، كما

أن العدالة هي الوسيلة الوحيدة لضمان عدم استغلال العالم لعلمه وإيثار مصلحته، كما أكد عليه الإمام الصادق (عليه السلام): (فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم)[٣].انعكس هذا التوجه بشكل واضح لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، حيث استطاعوا مواجهة الفتن والتقلبات بفضل النخبة الصالحة من العلماء، وكان لهذا التوجيه جذوره العميقة في استراتيجية أهل البيت (عليهم السلام) تجاه تلامذتهم وأصحابهم، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: (لما حضرت أبي (عليه السلام) الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا، قلت: جعلت فداك والله لادعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً)[٤].**الالتزام بالتكافل الاجتماعي:** بحث السيد الحكيم مواقف أهل البيت (عليهم السلام) المرتبطة بالجانب الاقتصادي، ومسؤولية المجتمع الإسلامي في نظرهم لاسيما محاربة الفقر ومساعدة الفقراء وإيجاد العدالة والرخاء الاقتصادي مستشهداً بمجموعة من النصوص الواردة منها:حديث الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم، إنهم لم يؤتَوا من قِبَلِ فريضة الله(عزّ وجل) ولكن اوتوا مِن منْعِ مَنْ منعَهم حقَّهم، لا مما فرض الله لهم، فلو ان الناس أدَّوا حقوقهم لكانوا عائشين بخير)[٥]، ونلاحظ في النص أن الإمام (عليه السلام) يحمّل المجتمع الإسلامي وبالأخص الأغنياء مسؤولية محاربة الفقر من خلال أداء الضرائب المالية التي تساهم في إنعاش الاقتصاد ودعم الفقراء، كما حثّوا الأمة على العمل والنشاط الاقتصادي وحذّروهم من الكسل والتواكل، عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قال: (قال أبي لبعض ولده: إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة)[٦]، وفي حديث آخر عن أيوب قال: كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ اقبل العلاء بن كامل، فجلس قدام أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: (ادع الله أن يرزقني في دعة. فقال: لا أدعو لك، اطلب كما أمرك الله (عزّ وجل))[٧]**مواجهة الإلحاد والبدع:** نقصد منها الوافدة من المجتمعات الأخرى أم التي يبتدعها المنحرفون داخل المجتمع الإسلامي، كما ظهر جلياً من خلال مواقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من الزنادقة والمنحرفين في عصورهم وتوجيه أصحابهم لمواجهتهم، وتضمنت بعض الروايات أنهم (عليهم السلام) كانوا ينتقون من بين أصحابهم من يتصدى للمناقشة العملية ويمنعون غير المؤهل لذلك، إذ يروى: (أن محمد بن علي بن النعمان – الملقب بمؤمن الطاق – كان له مجلس للمناظرة، فدنا منه شخص آخر من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) وقال له: «(إن الإمام نهانا عن المناظرة، فقال له مؤمن الطاق: أَوَ أمرك أن تقول لي؟ قال: لا، ولكنه أمرني أن لا أُكلّم أحداً. قال اذهب فأطعه فيما أمرك)[٨]**إقامة العدل ومقارعة الظلم:** ضرب أهل البيت (عليهم السلام) مثالاً حياً للمجتمع الإسلامي في الدعوة لإقامة الحق ومقارعة الظلم، فأعلنوا ذلك مبدأ، وقدّموا في سبيله التضحيات الجسام بكل غالٍ ونفيس ابتداءً من الإمام علي (عليه السلام) الذي يقول: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت)[٩]وكذلك الإمام الحسين (عليه السلام) الذي ضحى بنفسه وأُسرته وأطفاله وأصحابه وسبي عائلته، معلّلاً كل ذلك بقوله: (والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))[١٠]، كم اصاب الأئمة (عليه السلام) في اقامة العدل.وقد بلغ من تحذير أهل البيت (عليهم السلام) من الركون إلى الظالم ودعمه بما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في خطابه لزياد بن أبي سلمة: (إن أهون ما يصنع الله جلّ وعزّ بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق)[١١].**الدفاع بلاد المسلمين:** أكد أهل البيت (عليهم السلام) على تحمل المسلمين مسؤولية الدفاع عن بلادهم وكيانهم، وهو ما يصطلح عليه الفقهاء بـ(الجهاد الدفاعي أو الدفاع عن الإسلام) أي: كيان الإسلام، وقد نص الفقهاء على أن هذا واجب يشمل الجميع كلاً حسب قدرته، لا يستثنى منه مريض ولا شيخ كبير ولا امرأة، وكان موقف الإمام علي (عليه السلام) وسكوته عن حقه المشروع ومداراته لمن عاصرهم من الخلفاء رعاية لمصلحة الإسلام العليا خير شاهد على نهج أهل البيت (عليهم السلام)، وقد قال (عليه السلام) في ضمن عهده إلى مالك الاشتر: (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوتِ ولايتكم.. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتَنهنه)[١٢]**الوئام ووحدة الصف الإسلامي:** أكد أهل البيت (عليهم السلام) على وحدة الصف الإسلامي وتجنب ما يوجب الفوضى الأمنية والاجتماعية وتمزيق الأمة، وتتجلى رؤية أهل البيت (عليهم السلام) من خلال توجيهاتهم على التواصل والترابط بين أبناء الأمة رغم اختلاف المذاهب والاجتهادات الفكرية والعقيدية، وقد استشهد السيد الحكيم بما جاء في الحديث الصحيح عن معاويةَ بن وهب قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كيف ينبغي لنا أن نصنعَ فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال: تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم). كما علق السيد الحكيم على ذلك قائلاً: (المطلوب هو التعايش والانسجام مع عموم المسلمين والتعاون والتناصر والتكامل في الأمور المشتركة ذات العلاقة بمصلحة الأمة كلها والعقيدة الإسلامية)[١٣]. وأضاف: (وقد التزم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بهذه التوصيات ومارسوها من موقع

القوة والقدرة، كما التزموا بها في مواضع الضعف والمطاردة، ولذلك لم يعرف عن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم مارسوا عمليات القمع والاستئصال ضد أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، حتى في الحالات التي كانوا يمسكون فيها بأزمّة الأمور، وإنما كانوا دائماً يتمسكون بنهج الدفاع عن النفس عندما يتعرضون للعدوان في أشدّ الحالات، وقد يتمسكون بالصبر والسكوت وتحمّل ألوان الأذى والهضم لحقوقهم الطبيعية تأثراً بهذا النهج)[١٤].

المحور الثاني/ سمات المجتمع الإسلامي:

تطبيق التعاليم والأحكام الإسلامية: إن المجتمع الذي تبنّى هذا الدين وانتسب للإسلام من الطبيعي أن يثبت مصداقية انتسابه من خلال انعكاس ذلك على الواقع الخارجي، فتسود فيه تعاليم الدين وقيمه، ولا يقتصر على الانتساب اللفظي والرسمي للإسلام، كما يقول السيد الحكيم فرّقت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بين الإسلام والإيمان، وربطت بين الإيمان والتطبيق العملي لتعاليم الإسلام، وأن كمال الدين مرتبط بمدى انعكاسه على ممارسة الشخص وسلوكه، ويقول السيد الحكيم بعد أن أشار إلى اختلاف علماء المسلمين في حقيقة الإيمان: (وكان مذهب أهل البيت (عليهم السلام) يتأثر الإيمان إلى حدّ كبير – صعوداً ونزولاً – بالممارسات العملية، فكلّما مارس العبد هذا الالتزام القلبي عملياً وجسّده في سلوكه خارجياً تصاعدت درجة هذا الإيمان والالتزام من ناحية وثبت في قلبه ووجدانه من ناحية أخرى)[١٥] استشهد السيد الحكيم بما جاء في رواية حماد بن عمرو النصيبي عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): (قلت: أخبرني عن الإيمان أقَوْل وعمل أم قول بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل.. قلت: وإنْ الإيمان ليتُمّ ويزيد وينقص؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها وفرّقه عليها، فليس من جوارحهم جارحة إلاّ وهي موكلّه من الإيمان بغير ما وُكِّلت به أختها)[١٦].لم يكتفِ السيد الحكيم بالتأكيد على البُعد الفردي للالتزام الديني، انما كان يرى ضرورة انعكاسه على النشاط الاجتماعي والسياسي، ما كان يسميه بالتقوى السياسية، وقد انعكس ذلك الالتزام بشكل واضح في سلوكه وتعامله مع خصومه السياسيين، فلم يقابلهم بأسلوب الطعن والتسقيط متميّزاً بذلك عن كثير من المتصدين للشأن العام من الشخصيات والحركات والأحزاب سياسية، انما حتى في جلساتنا الخاصة معه كان ينعتهم بالإخوة متجنّباً نبزهم والطعن فيهم.**الالتزام بالمعايير الأخلاقية:** إنّ مِن أولويات الإسلام ورموزه التأكيد على مكارم الأخلاق حتى ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (انما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)، وقد حثّ أهل البيت (عليهم السلام) على إشاعة المحبة والإحسان داخل المجتمع، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (اصنع المعروف إلى من هو أهله والى من ليس من أهله، فان لم يكن هو أهله فكن أنت من أهله)[١٧].ينطلق السيد الحكيم إلى أبعد من ذلك، إذ يؤكد على دور الأخلاق في صياغة النظام والحكم الشرعي للمجتمع، مضيفاً أنه وفق رؤية أهل البيت (عليهم السلام) لا يكون الحكم الشرعي مجرّد إلزام أو إقرار يمارس فيه الله تعالى ولايته المطلقة على الإنسان، انما يمثل العدل والحكمة الإلهيين، والغنى المطلق منه تعالى عن أفعال هذا الإنسان، فهو يعبّر عن المصالح والمفاسد المرتبطة بحياة الإنسان ومسيرته التكاملية في الحياة، فهو ذو بُعدٍ ومحتوىً أخلاقي.وأضاف السيد الحكيم: (وبهذا يمكن أن نفهم أهمية المعركة الكلامية التي خاضها أهل البيت (عليهم السلام) وحدّدوا فيها البعد الأخلاقي في الأحكام الشرعية من خلال قضية الحسن والقبح في الإرادة الإنسانية، إن أهل البيت (عليهم السلام) عندما وجّهوا أتباعهم إلى التزام هذا الاعتقاد، وأصبح أحدُ أصول مذهبهم هو الالتزامَ بالعدل الإلهي، أرادوا بذلك أن يؤسّسوا القاعدة الأخلاقية في البناء الروحي والمعنوي لأتباعهم، ويوجدوا نوعاً من الحصانة النفسية والروحية عن الوقوع في الانحرافات الأخلاقية الكبرى، كالظلم والعدوان أو مناصرتهما أو السكوت عنهما على الأقل)[١٨]إن مما ينقص الأمة الإسلامية اليوم هو: (إدراك هذه العلاقة والترابط بين الحكم الشرعي والمعايير الأخلاقية السامية، وقد انعكس غياب هذا الإدراك على أخلاقية الكثير من التيارات والجماعات التي انتهجت التطرّف والعنف وصارت تمارس أبشع أنواع الجرائم المروّعة التي تندى لها جبين الإنسانية باسم الدين على أساس المسؤولية الشرعية المزعومة، جاهلين أو متجاهلين ذلك الترابط المحكم بين الأحكام الشرعية والمعايير الأخلاقية النبيلة)، الذي أشار إليه السيد الحكيم، فكان هؤلاء من أبرز من أشار إليهم قوله تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)[١٩]، حيث شوهت ممارساتهم الإجرامية تلك الصورة المشرقة للإسلام ولنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بعث لتوطيد وإتمام مكارم الأخلاق.وكان السيد الحكيم يحذر دائماً من هذا الخط المنحرف ومن ويلاته ويؤكد على مسؤولية الأمة في مواجهته وتعريته، وعن الجهة المسؤولة بالدرجة الأساس والمباشرة للمجازر البشعة بحق المدنيين الأبرياء في الجزائر، فقال: (إنهم السلفيون المتطرفون الذي يكفّرون جلّ المسلمين ولا يرون لهم حرمة، فهم يمارسون هذه الجرائم البشعة بحقهم لمجرّد إرباك الوضع الأمني في البلد، بينما كانت بعض القيادات الإسلامية الأخرى ووسائل إعلامهم تبرّئ المتطرفين الإسلاميين من تلك المجازر).**الشعور بالمسؤولية:** يؤكد السيد الحكيم على أهمية شعور الأمة بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها وفق رؤية أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال تأكيدهم (عليهم

السلام) (لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لمقاومة الظلم والبغي والانحراف، ومبدأ النصرة للمسلمين، وكذلك مبدأ التعاون فيما بينهم، ومبدأ الاهتمام بأمورهم، ومبدأ النصيحة لهم، ومبدأ الإخوة بينهم، وحرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومبدأ التعايش مع الناس من المسلمين، وغيرها من المبادئ التي تشكل بمجموعها قاعدة قوية ومنهجاً متكاملاً لهذا الشعور والإحساس)[٢٠].

ولأجل دعم موقف الأمة وقدرتها على تحمل المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها أكد أهل البيت (عليهم السلام) على عنصرين رئيسيين هما:

أ. الصبر ومقاومة التحديات: قال السيد الحكيم: «(لا شك أنّ روح المقاومة والصمود والتحمّل والصبر على المكاره والآلام والمحن من أهم الصفات المعنوية التي تؤهل الجماعة للبقاء والاستمرار من ناحية، وللقيادة والريادة للجماعات الإسلامية الأخرى في المواجهة العامة التي تمرّ بها الأمة من ناحية ثانية، والى تحقيق النصر والغلبة على الأعداء من ناحية ثالثة)[٢١]، بخاصة مع ملاحظة أن الحياة ساحة للصراع الدائم بين الحق والباطل والخير والشر، فمن الطبيعي أن يواجِه المجتمعُ الإسلامي الذي رفع شعلةَ الحق الكثيرَ من المصاعب والتحديات، ولابدّ أن تسود بين أبنائه ثقافة الصبر وتحمّل الصعاب والاستعداد للتضحية والفداء، وهو ما أكده أهل البيت (عليهم السلام) كثيراً، واستشهد السيد الحكيم بالعديد من الروايات منها لحفص بن أبي غياث عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) جاء في بعض فقراته قال: (عليك بالصبر في جميع أمورك، فان الله عزّ وجلّ بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمره بالصبر والرفق فقال: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)[٢٢]، فصبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع أحواله، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ويُختتَم الحديث بقول الإمام الصادق (عليه السلام) فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يُقرّ (الله تعالى) له عينه في أعدائه مع ما يدّخر له في الآخرة)[٢٣].

ب. الأمل وانتظار الفرج: إن أية أُمة تروم البقاء والتقدم والنجاح في تحقيق أهدافها لابد لها من أن تعيش الأمل والتفاؤل لتنبض فيها الحيوية والروح الوثابة ومواجهة التحديات، قال السيد الحكيم: (وقد عالج أهل البيت (عليهم السلام) هذا الجانب بأساليب متعددة إلاّ أن أهم نقطة هي قضية الانتظار لظهور الإمام القائم (عليه السلام) حيث لم يكتفِ الأئمة (عليهم السلام) في الحديث عنه لمجرّد طرح هذه الحقيقة وطلب الإيمان بها، انما كانوا يسعون دائماً إلى أن يجعلوا شيعتهم يعيشون حالة الانتظار الحقيقي للظهور)[٢٤]، إن إحياء قضية الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في نفوس الأمة لا ينبع من رؤية مذهبية، لأنها من الحقائق الإسلامية التي أذعن لها جلّ المسلمين وإن اختلفوا في تفاصيلها، حتى تحوّلت إلى قضية ثانوية وهامشية عندهم رغم أهميتها.**توثيق الارتباط الروحي بعالم الغيب:** تأتي أهمية هذا العنصر باعتبار أن فلسفة الإسلام وباقي الأديان السماوية تعتمد على الإيمان بالغيب وأن الله سبحانه جعل الحياة مختبراً للإنسان باعتبارها قنطرة الآخرة ومزرعتها، وأن ما يزرعه الإنسان فيها يحصده في آخرته، وكما قال تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[٢٥]، وكلّما قوي ارتباط الأمة الروحي والمعنوي بالخالق تعالى قويت شكيمتهم واستقامت مسيرتهم وتطوّر أداؤهم، وقد أكد أهل البيت (عليهم السلام) على هذا الجانب وأثرَوا التراث الإسلامي بأدوات هذا الارتباط الروحي من الصلوات المستحبة والأدعية والمناجاة.قال السيد الحكيم: (حيث يلاحظ هذا الاهتمام العظيم في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بقضية الدعاء وهذه الثروة الغنية والكنوز الثمينة من الأدعية الشريفة، سواء في أعقاب الصلوات، أم في تفاصيل اليوم والليلة، أم في الأيام المختلفة من السنة، أم المواسم الدينية الإسلامية كشهر رمضان، وشعبان، ورجب، وذي الحجة، والأيام الشريفة مثل: الأعياد الإسلامية، أو المناسبات الأخرى، أم الصلوات المختلفة ذات المناسبات أو الأبعاد، بحيث نجد في تراثهم كتباً واسعة معروفة ومتداولة في جميع العصور، مضافاً إلى الأدعية الواسعة والكبيرة ذات الطبيعة التربوية والثقافية أمثال: دعاء الإمام علي (عليه السلام) الذي يرويه كميل بن زياد النخعي، ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، ودعاء الإمام زين العابدين الذي يرويه أبو حمزة الثمالي، ودعاء الجوشن وأدعية الصحيفة السجادية وغيرها كثير، وهذه الأدعية والصلوات مضافاً إلى جانبها الثقافي الذي أشرنا إليه، تمثل بُعداً روحياً عظيماً في بناء قاعدة الارتباط بالله تعالى والتقوى والخوف والرجاء في نفس الإنسان المتعبّد)[٢٦].**نظام العلاقات العامة:** يمتلك السيد الحكيم في هذا الموضوع رؤية شاملة أقتبس منه رؤاه للعلاقات من ثلاثة أبعاد.

أ.**بُعد العلاقات الدولية:** أكد على أهمية انفتاح المجتمع الإسلامي في علاقاته الخارجية مع المجتمعات والأمم الأخرى، وعدم الانغلاق فضلاً عن إثارة ما يوجب البغض والشحناء والنفرة مع غير المسلمين.

ب.**بُعد العلاقات الإسلامية:** تمثل وحدة المجتمع الإسلامي والترابط بين أبنائه، إذ أكد أهل البيت (عليهم السلام) من خلال مسيرتهم وتوجيهاتهم على وحدة الأمة تطبيقاً للرؤية القرآنية (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[٢٧]، وإن انعكاس هذه الوحدة لا يقتصر على الإيمان بالقواسم العقيدية المشتركة، بل لابدّ أن ينعكس ذلك على السلوك من خلال الترابط والمواصلة بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد رغم الاختلافات الإثنية وتنوّع المذاهب والاتجاهات الفكرية والثقافية، يتحدث السيد الحكيم عن اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) في (تحقيق الوحدة والانسجام في المجتمع

الإسلامي، ولذا نجدهم يحرّضون شيعتهم على إيجاد روح التضامن والتكافل والوفاء بالعهود والمواثيق مع بقية أطراف المجتمع، ويحثّونهم على حسن المعاشرة والجوار والحضور في الجنائز والمساجد وعيادة المرضى مع تأكيد عدم إمكان الاستغناء عن الناس والحاجة إليهم)[٢٨]، ويشير إلى حديث مرازم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: (عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنه لابدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياتهَ. والناس لابدّ لبعضهم من بعض)[٢٩].

ج. **بُعد العلاقات الخاصة:** لاسيما العلاقة بين الأقارب والأرحام، حيث يرى السيد الحكيم أن منشأ تأكيد الإسلام وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) على صلة الأرحام لا يقتصر على بُعده الإنساني، حيث يقول (قدس سره): (إن موضوع المعاملة الخاصة مع الأرحام يُعدّ بُعداً اجتماعياً تنظيمياً مهماً، يرتبط بنظرة الإسلام إلى الهيكلية العامة للمجتمع)[٣٠]، وأضاف في بعض الجلسات الخاصة: بأن تقوية أواصر القربى وتماسك العشائر تساهم أيضاً في شعور المرءِ بالمسؤولية والرقابة الاجتماعية عليه مما يساهم إلى حدّ كبير في الانضباط السلوكي واستقامته، وأنّ هذه من الآليات المعتمدة في الإسلام لحفظ التماسك الاجتماعي والتهذيب السلوكيّ لأبناء المجتمع الإسلامي، وقد وُثّقت هذه الرابطة بالعديد من التشريعات التي تربط مصير ومصالح ذوي القربى ببعضهم، مثل: أحكام الإرث، والدية، فان شعور ذوي القربى بتحملّهم مسؤولية ممارسات بعضهم وانعكاسها عليهم يشدّد الرقابة الاجتماعية ويضفي مزيداً من الشعور بالمسؤولية لدى أفرادهم، فيساهم ذلك في الابتعاد عن الانحرافات الاجتماعية والشذوذ، كما يصون المجتمع من الاختراقات الأمنية وغيرها.

الاعتدال والواقعية: حيث كان السيد الحكيم يرى أن أُطروحة أهل البيت (عليهم السلام) ترسم النهج الاعتدالي والواقعي للمجتمع الإسلامي بعيداً عن التطرف في المواقف والانفعالية في التعاطي مع الأحداث، لأنه بالإضافة لكونه المنهج السليم لفهم وتطبيق تعاليم الإسلام، يتوقف عليه استقرار المجتمع والتعايش بين مكوّناته وكياناته المتفاوتة في اتجاهاتها الفكرية والثقافية وغيرها، وكان يؤكد أن التطرف والانفعالية من الآفات الخطيرة التي يلزم تثقيف المجتمع الإسلامي على نبذها والتخلص منها.

الحرية السياسية: كان السيد الحكيم يؤكد في جلسات الحوار على اعتراف مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بالحرية السياسية لمعارضي الحاكم الإسلامي، وكان يستشهد على ذلك بموقف الإمام علي (عليه السلام) إبان فترة حكمه من معارضيه وممن رفض بيعته، فضلاً عمّن كان ناقداً ومعترضاً على مواقفه (عليه السلام) رغم أنه كان يمثل الشرعية الإسلامية بكل المقاييس، وكان السيد الحكيم يرى في ذلك نهجاً وتشريعاً للحرية السياسية لمعارضي الحاكم الإسلامي، وانه ليس مجرد تسامح شخصي من الإمام (عليه السلام) تجاه معارضيه، وإنما جسّد الإمام (عليه السلام) بذلك شرعة الإسلام وسيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل، حيث إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) برغم معرفته بمواقف المنافقين والمرجفين (مع ذلك لم يتخذ أيّ عملٍ قمعي ضد مناوئيه، وذلك لأنه لا يوجد في النظرية الإسلامية قرار يتخذ أسلوب القمع لأي عمل، لمجرد أنه عمل سياسي، ما دام المسلم يرفع شعار الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فله – الفرد المسلم – حرية التحرك من الناحية السياسية ما لم يرفع سيفاً، ويستخدم القوة في مقابل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لو كان هذا العمل حراماً ومُداناً من الناحية الشرعية، ومخالفاً لطاعة الله وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم))[٣١].وهكذا كان السيد الحكيم يؤكد أن المجتمع الإسلامي يسع المعارضين للحاكم، ناقداً بذلك مواقف السلطات الحاكمة في البلاد الإسلامية التي تستبيح حرمات المعارضين وتقمعهم بكل قسوة، مما ساهم في تخلّف المجتمعات الإسلامية عن ركب الحضارة الإنسانية، وتمزيقها بالصراعات الداخلية ودوامة العنف التي تلازمها.

الخاتمة:

طرح السيد محمد باقر الحكيم مشروع حضارياً اجتماعياً لوضع لبنات ناضجة من اجل تأسيس الجذور الموضوعية لبناء مجتمع متكامل معتمداً الرؤية العميقة والثاقبة لأهل البيت (عليهم السلام) فكان بالفعل تنظير واعي منبثق من القران الكريم كونه دستور الحياة ومنهج الانسان المؤمن ومنار الأجيال، مستنداً لاحاديث وروايات أهل بيت النبوة وشعاع الخير في إقامة مجتمع صالح تزهر فيه الجماعة المؤمنة القائدة لمشروع العدل الإلهي الموعد، ذلك المجتمع الرائد بين الكم الكبير من المجتمعات البشرية، لذا فان السيد محمد باقر الحكيم لم يكن انساناً منخرط في مجال معين في الحياة، انما كان قائداً ملهماً وبناءً حضارياً ومنظراً اجتماعياً، لمجتمع يسوده العدل والاحترام ذلك هو المجتمع الحضاري الإسلامي الواعي.

هذا وأخر ما نقوله في سياق هذا البحث ان الانسان ليس خالاً من العيوب والاوهام لكنه يخط بأنامله ما يستطيع ويترك التصحيح وعين الصواب من يجد في نفسه كفؤ لوضع المسارات في طريقها الصحيح والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

[١] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣ /١٧، باب تحريم الاستخفاف بالصلاة، ج١١.
[٢] محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ٢٩٤/١.
[٣] وسائل الشيعة، المصدر السابق،٢٧ / ١٣١، باب عدم جواز تقليد غير المعصوم، ح٢٠.
[٤] الشيخ الكليني، الكافي، ٣٠٦/١، ج٢.
[٥] محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ٣٩٠/١.
[٦] المصدر نفسه، ٤٤١/١.
[٧] الكليني، المصدر السابق، ١١٠/٥، ج١.
[٨] محمود الجندي، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ص٢٢٠.
[٩] ابن ابي الحديد، نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ٢ /٢١٨.
[١٠] محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣٠/٤٤.
[١١] محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ٤٤١/١
[١٢] المجلسي، المصدر السابق، ٣٣٠/٤٤.
[١٣] الكليني، المصدر السابق، ١١٠/٥، ج٣.
[١٤] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ٢٦٨/١
[١٥] الحكيم، المصدر السابق، ١/ ١٠٦.
[١٦] الكليني، ٣٨/٢، ج١.
[١٧] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ١٨٧/١.
[١٨] الحكيم، المصدر السابق، ١٠٣/١.
[١٩] الكهف، ١٠٣ – ١٠٤.
[٢٠] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ٨٢/١.
[٢١] الحكيم، المصدر السابق، ١٨٧/١.
[٢٢] المزمل، ١٠.
[٢٣] الكليني، ٨٨/٢، ح٣.
[٢٤] المصدر نفسه، ٢/ ٨٨، ج٣.
[٢٥] العنكبوت، ٦٤.
[٢٦] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ١٧٠/١.
[٢٧] الأنبياء، ٩٢.
[٢٨] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المصدر السابق، ٤٦/١.
[٢٩] الكيلني، المصدر السابق، ٢/ ٦٣٥/ ج٣.
[٣٠] الكليني، المصدر السابق، ٤٩١/١، ج١.
[٣١] الحكيم، الزهراء (عليها السلام)، ص٦١.